

روح الأنوار The Spirit of Enlightenment

قازرون محند أعراب

جامعة تيزي وزو (الجزائر)

Mohand.quezroune10@gmail.com

ملخص:	معلومات المقال
يهدف هذا المقال إلى إبراز التغيير الذي حدث خلال القرن الثامن عشر في أوروبا ضمن ما عرف آنذاك بالحركة التنويرية أو عصر الأنوار والروح التي صاحبته. كانت البداية بإبراز مفهوم التنوير انطلاقاً من ذلك السؤال الاستغراقي الذي طرح في أواخر القرن الثامن عشر من طرف أحد القساوسة: "ما هي الأنوار؟" والذي عرف ردوداً كثيرة، توقفتنا عند أهمها، لسيما جواب كل من موسى مندلسون وإيمانويل كانط. بعدها تطرقنا لمشروع الأنوار والبديل الذي طرحه من أجل تحقيق التغيير المنشود وتحسين حياة الإنسان نحو الأفضل؛ فلم يكن ذلك بالأمر الهين، وذلك لعدة أسباب ذكرنا أهمها. ثم بعد ذلك توقفتنا عند أهم إنجازات الأنوار وفلاسفته ومفكريه، من خلال عرض الأفكار الكبرى وفي مختلف المجالات الفكرية والمعرفية، لسيما في المجال العلمي والفلسفي والاقتصادي والسياسي. كما ذكرنا أسماء العديد من الأعلام وإنجازاتهم التي ساهموا بها في التأسيس لروح الأنوار.	تاريخ الإرسال: 2023/03/13 تاريخ القبول: 2023/05/07
	الكلمات المفتاحية: ✓ التنوير ✓ أوروبا في القرن الثامن عشر ✓ مفهوم التنوير ✓ مشروع الأنوار ✓ إنجازات حركة التنوير
Abstract :	Article info
This article aims to shed light on the transformative period that unfolded in eighteenth century Europe, known as the Enlightenment or the Age of Enlightenment, accompanied by its distinct spirit. It begins by exploring the concept of enlightenment, sparked by a thought-provoking question posed by a priest towards the end of the eighteenth century: "What are the lights?" This question elicited numerous responses, and the article focuses on the most significant ones, particularly those put forth by Moses Mendelssohn and Immanuel Kant. Subsequently, the article delves into the Al-Anwar project and its proposed alternative to facilitate the desired change and enhance the human condition. However, achieving this change was far from straightforward, due to various challenges, which are elaborated upon, with a particular emphasis on the most significant obstacles encountered. Furthermore, the article highlights the notable achievements of the Enlightenment movement, its philosophers, and thinkers. It presents the groundbreaking ideas that emerged across diverse intellectual and cognitive domains, encompassing scientific, philosophical, economic, and political realms. The contributions of influential figures who played a pivotal role in fostering the Spirit of Enlightenment are also mentioned, underlining their noteworthy accomplishments.	Received :13/03/2023 Accepted:07/05/2023
	Keywords: ✓ Enlightenment ✓ Eighteenth century Europe ✓ Concept of enlightenment ✓ Al-Anwar project ✓ Achievements of the Enlightenment movement

❖ **مقدمة:** " فعل التنوير " شهدت عليه أوربا خلال القرن الثامن عشر، أي أوربا العصر الحديث. هذه الأخيرة ليست هي أوربا العصور الوسطى ولا عصر النهضة. في هذا العصر دخلت أوربا مرحلة جعلت الانسان يطرح عدة أسئلة مهمة وجوهرية، خاصة بعد سقوط الآلهة والامبراطوريات والمدن الفاضلة. أسئلة متعلقة بمستقبل الانسان ومصيره بعد كل هذه التغيرات، وكان أهم سؤال طرحه الإنسان هو: "ما هي الأرضية والمرجعية الفكرية والأخلاقية التي سيبنى عليها إنسان العصر الحديث حياته بعد الآن؟" إنه بمثابة البحث عن مشروع مجتمع.

إنسان العصر الحديث أصبح في حاجة إلى "إطار مفاهيمي جديد" عليه تقوم وتبنى، ليس خطاباته فحسب، بل وأفعاله كذلك. ذلك ما حدث بالفعل خلال القرن الثامن عشر والذي تحقق في إطار تيار فكري مميز وفريد هو "التيار الإنساني التنويري" أو ما يعرف بـ: "عصر الأنوار" (le siècle des lumières) بفلاسفته وعلمائه ومفكره وأدباءه وفنانيه.

لا يمكننا الحديث عن عصر الأنوار دون الحديث عن أوربا وأحوالها قبل هذا التاريخ، ولعل هذه أهم المميزات التي يتميز بها المجتمع الأوروبي آنذاك:

- نظام حكم ملكي - امبراطوري مستبد.
- نظام الهرمية الاجتماعية (الطبقية).
- طغيان العقائد الدينية على عقول الناس (كثرة الحروب الدينية).
- الثقافة والعلوم كانت مقيدة بعقائد دينية دوجماتية.
- النظام الاقتصادي لم يكن جامدا أو منعزلا فقط، بل أكثر من ذلك، كان غير عادل تماما. (كانت الزراعة تمثل المورد الاقتصادي الأول للثروة).
- الأراضي الزراعية كانت تسيطر عليها الاقطاعية والبرجوازية.
- القانون كان يحمي الأشراف والنبلاء...

إلى أن أتى عصر الأنوار، أين، ولأول مرة في التاريخ، يقرر الناس أخذ زمام أمورهم بأيديهم ويجعلون من "الحياة الكريمة للإنسانية" (le bien-être de l'humanité) هدفا أسمى لكل أفعالهم وتصرفاتهم. في هذا العصر انتقلت الإنسانية من حالة إلى حالة أخرى

مناقضة ومغايرة تماما لما كانت عليه في العصور السابقة، وهو الانتقال الذي حدد هوية الانسان الحديث والمعاصر.

لنعد الآن إلى فكر الأنوار، لنبحث ونغوص قليلا في أصول وجذور هذه الحركة، في تطورها ومشروعها، في أزماتها وانشقاقاتها، في روحها. إنها نتاج وثمره أناس كانوا على وعي بأمرها تمام الوعي، كانوا يبحثون عن تلك الأرضية والمرجعية الفكرية التي عليها سيؤسسون لغد أفضل لحياة إنسانية كريمة. الأنوار ليست خاصة بشخص أو بلد واحد، بل هي نابعة من كل أنحاء أوروبا الغربية بالخصوص.

أجمع معظم المؤرخين والدارسين على أن الفضل الكبير في إشاعة الفكر التنويري يعود إلى الفرنسيين، فهم الذين مارسوه وزاولوه بالفعل، لهذا يقال إن فرنسا هي قلب الأنوار، لكنهم لم يكونوا منظرين بالمعنى التام للتتظير، فتلك كانت مهمة الفلاسفة والمفكرين الألمان، إذ هم أول من بادروا إلى طرح السؤال: "ما هي الأنوار؟ (que-ce que les lumières ?)" -ذلك ما سنراه لاحقا- وهم الذين اجتهدوا في الإجابة عليه إجابات شتى ومتنوعة كل حسب اجتهاده وموقعه ضمن هذا التيار. ولعل أبرزهم: موسى مندلسون وإيمانويل كانط. أما الانجليز فهم يمثلون مهد الأنوار، حيث بدأ التنوير في الجزيرة البريطانية بعد نهاية الحرب الأهلية التي عرفتها بين سنتي (1641 و1651). فالأفكار العظيمة للتنوير تبلورت في بريطانيا، إذ يعتبر جون لوك، من الناحية الفلسفية، وإسحاق نيوتن، من الناحية العلمية، من أكبر المؤثرين في الفعل التنويري في بريطانيا بالخصوص وأروبا عامة. فما هي الأنوار؟ وماهي أهم الأعلام والمعالم التي حددت وشكلت روحه ومشروعه؟

❖ **في معنى الأنوار:** للسؤال المطروح في نهاية القرن الثامن عشر "ماهي الأنوار؟" في ألمانيا قصة نود التطرق إليها قبل معرفة الجواب عنه، وهذا ما نسرده هنا باختصار، ثم نتطرق للأجوبة التي أجاب بها كل من مندلسون وكانط. فمن هو صاحب هذا السؤال، وكيف طرح ولماذا؟

أشار (Kant & Mendelssohn 2006) أن كل شيء بدأ في ألمانيا من خلال مقال نشره أحد المثقفين الألمان، في شهر سبتمبر من سنة 1783، والذي يدعى يوهان إيريك بيستر (Johan Erich Biester 1749-1816) على صفحات مجلة برلين الشهيرة

(Berlinische Monatsschrift) المتخصصة في الفكر التنويري، والتي كان هو رئيس تحريرها. كان عنوان المقال: "نداء إلى عدم إزعاج رجال الدين لعقد قران الزواج" يدعوا فيه صاحبه إلى الاكتفاء فقط بالعقد المدني بحجة أن الزواج هو سنة من سنن الطبيعة، بالتالي يخضع له، مثله مثل باقي العقود المدنية الطبيعية. كما شنَّ هجوما عنيفا ونقدا لادعا ضد الدين، واصفا إياه بالمظلم والخرافي، يضر الشعوب ويهلكها. فيقول: لا حاجة لنا للدين بعد الآن، لأن الدين حسب، يشكل عامل عدم الاستقرار الاجتماعي؛ لهذا دعا إلى تقليص نفوذ الدين ورجاله على حياة الناس والمجتمع.

أثار هذا المقال ردود فعل مباشرة وغير مباشرة. ردود الفعل غير المباشرة هي تلك التي جاءت على لسان كل من مندلسون وكانط -كما سنرى ذلك لاحقا- وردود الفعل المباشرة فكانت من طرف قس بروتستانتى يدعى يوهان فردريك زولنر (Johan Frederick Zöllner 1753-1804) الذي ردَّ عليه بمقال على صفحات نفس المجلة في شهر ديسمبر من نفس السنة، بصفته الممثل الأول للكنيسة "سان نيكولا" وهو من أنصار التنوير المعتدلين. عنوان المقال كان على شكل تساؤل يقول فيه: "هل فعلا من الملائم عدم التصديق على عقد الزواج دينيا؟"، كما أشار الشيخ (2015) بأنه كان رد القس على صاحب المقال دقيقا، نقطة بنقطة، حيث نفى فيه أن يكون الدين عامل لعدم الاستقرار الاجتماعي، بل بالعكس يقول إن الدين يشكل مانعا ضد الأخلاق، ضد الفسق، والفساد بكل أنواعه...، ومنه لابد، بل ومن الضروري أن يكون للدين مكانة في المجتمع، ويرى في ذلك الشرط الأساسي لاستمرار الحركة التنويرية، وإسهامها في لعب الدور الإيجابي الذي يريد رواه تجسيده كما سطوروا لذلك منذ البداية. أما جوابه عن مسألة الزواج فقال إنه لما يتعلق الزواج بمسائل الضمير وما يترتب عليها -من النية والإخلاص والقسم والسعادة الزوجية ونقائضها (إكراه وكذب ونقض للعهود والحنث...) - وممت هذه الأمور إلى الضمير الديني بوشاح، فإنه من الطبيعي أن يتكفل الدين ورجاله بأمر الزواج التكفل الشرعي.

كان زولنر جد حذر في رده، فلم يسب أحدا، ولم يكفر أحدا، ولم يناد للعنف ضد أحد، ولا لأي شيء آخر سوى أنه أنهى مقاله بسؤال جريء ومهم في نفس الوقت، سؤال لا يقل أهمية عن ذلك السؤال الذي طرحه فلاسفة وعلماء العصر الحديث والخاص بسؤال

المعرفة: ما المعرفة؟ وما السبيل لبلوغ الحقيقة؟ فكان سؤال زولنر هو: ما هي الأنوار؟ (que-ce que les lumières ?) فهو يريد جواباً لهذا السؤال، ويريد توضيحاً لهذا المصطلح حتى نجني ثمار هذه العملية. كأنه يريد أن يقول ما الغرض وما القصد من فعل التنوير؟

سؤال زولنر أتى قبل خمس سنوات من أحداث الثورة الفرنسية، وهو السؤال الذي أجاب عنه نخبة من فلاسفة ومفكرين التنوير الألماني، وذلك ما يشكل ردود الفعل غير المباشرة للمقال الأول. ونذكر هنا جواب كل من مندلسون وكانط، كما نذكر أن رديهما نشرنا على صفحات نفس المجلة سنة بعد طرح السؤال.

❖ **جواب موسى مندلسون: (سبتمبر 1784)** ربط مندلسون بين التنوير والثقافة والحضارة التي لدى أي شعب وفي أي مجتمع. ويقول في مستهل حديثه: "الثقافة والحضارة والتنوير هي كلها تقويمات الحياة الاجتماعية، ونتاج حماس ومجهودات الرجال من أجل تطوير ظروفهم الاجتماعية". يربط كذلك بين هذه الظروف الاجتماعية وبين مصير الإنسان (la destination de l'homme)، إذ كلما كان هناك تناغم وتناسق بينهما كان لذلك الشعب ثقافة. والثقافة حسب مندلسون، منها تنبثق الحضارة والأنوار. فماذا يقصد مندلسون بالحضارة والأنوار إذن؟

يقول إن الحضارة تميل أكثر إلى الممارسة والتطبيق، للطيبة (bonté) والصفاء والجمال الفني والحرفي، وكذلك للأخلاق الاجتماعية؛ وهذا ما يمثل الجانب الموضوعي فيها. أما الجانب الذاتي فيتمثل في الحماس والبراعة والخفة، كل هذا له الدور الكبير في تحديد مصير الإنسان. أما التنوير فهو على العكس من الحضارة يميل أكثر إلى الجانب النظري، إلى المعرفة العقلية التي هي ضرورية في اكتساب الإنسان القدرة على إعمال فكره بصورة عقلانية في شؤون الحياة الإنسانية، وذلك حسب أهميتها وأولويتها في تحديد مصير الإنسان دائماً.

نلاحظ، إذن، كيف جعل مندلسون من مصير الإنسان الهدف الأسمى للفعل التنويري، وأن غاية التنوير لا تخرج عن تحقيق غايات الإنسان السامية في الحياة والتي نذكر منها: المعرفة والحقيقة؛ الخير؛ الأخلاق وفعل الأعمال الصالحة؛ التعلق بالفن والجمال. وهي

كلها من مكونات ثقافة كل مجتمع وحضارته، وهي عناصر مهمة في التنوير عموماً. وهذا هو سر ربط مندلسون بين هذه العناصر كلها.

بعد تحديد مفهوم الأنوار، يتوجه مندلسون إلى تحديد أبعادها من خلال دائماً الاعتماد على تلك العناصر السابقة مضيفاً إليها عناصر جديدة، وذلك من خلال التمييز الذي وضعه وحدده بين الفرد الإنسان داخل المجتمع، وبين الإنسان المواطن. كيف ذلك؟

يقول مندلسون: "مصير الإنسان هو الآخر ينقسم إلى قسمين: الأول؛ مصير الإنسان بصفته إنساناً. الثاني؛ مصير الإنسان بصفته مواطناً." ماذا يعني هذا الكلام؟ يميز مندلسون بين الإنسان الفرد داخل المجتمع وبين الإنسان المواطن داخل نفس المجتمع. فيما يكمن هذا التمييز؟ يرى أن الإنسان كإنسان لا يحتاج إلى حضارة، بل يحتاج إلى تنوير. بينما المواطن في المجتمع فهو مرتبط بوظيفة يؤديها، وبوضع اجتماعي يشغله، وهذه كلها تحدد حقوقه وواجباته داخل المجتمع (الدولة)، يشترط مندلسون من الإثنين قدر كاف من المعارف النظرية والقدرة على اكتسابها عن طريق التعلم. التنوير الذي يهتم الإنسان كإنسان هو تنوير شامل وعام، بينما تنوير الإنسان المواطن فهو يتغير بتغير وظيفته وظروفه داخل المجتمع.

هذين الجانبين المتكاملين من التنوير يمكن، في بعض الظروف الاجتماعية والتاريخية، أن يبلغا حد الصراع والتناقض، تلك هي القضية التي قد تتجر منها المخاطر -ذلك ما حدث بالفعل خلال الثورة الفرنسية-. "يستطيع الإنسان المتنور أن يدخل في صراع مع المواطن المتنور." كيف ذلك؟ يقول مندلسون إن بعض الحقائق الخاصة بالإنسان كإنسان قد تكون ضارة له من حيث هو مواطن (أي يحمل صفة المواطنة)، مثل حال يطلب منه طاعة القوانين الجماعية. هنا يقر ويعترف مندلسون بخطورة مثل هذه الوضعية إذ يصرح: "شقية وتعبة الدولة التي تضطرها الظروف للاعتراف بأن مصير الفرد الإنسان وحقيقته فيها لا يكون في انسجام مع مصير الإنسان وحقيقته بصفته مواطناً، وأن التنوير، الذي هو ضروري للإنسانية، لا يمكنه الانتشار عبر كل أرجاء الدولة من دون أن يعرض ذلك الدستور لخطر الهلاك." لم يخف مندلسون تخوفه من مثل هذا الصراع الذي يتولد من تطرف طرف على طرف آخر -كما حدث ذلك في فرنسا خلال ثورتها- والذي قد يؤدي إلى انهيار الدولة وأقول المجتمع. فبقدر ما يكون الرقي عظيماً بقدر ما يكون الهبوط عميقاً، لهذا حذر مندلسون من سوء

استعمال التنوير والحضارة إذ يقول: "سوء استخدام الأنوار يضعف الشعور الأخلاقي ويتولد عنه العناد والأنانية والابتعاد عن الدين والفوضى. أما سوء استخدام الحضارة، فذلك ما يخلق البذخ، والنفاق، والخرافة، والعبودية" فما الحل لهذا إذن؟ يقول مندلسون: "كلما سار التنوير والحضارة بخطى ثابتة وبجنب إلى جنب وبندية، فإنهما يشكلان أفضل وسيلة لمنع الفساد. وفي حال تعارضهما سيكون الهلاك للإثنين حتما." (أورد في: Kant & Mendelssohn, 2006)، هكذا اختتم مندلسون جوابه حول السؤال المطروح "ماذا تعني الأنوار؟"

❖ **جواب إيمانويل كانط (ديسمبر 1784):** كان جواب Kant (2015) على السؤال مباشر وفي السطر الأول من المقال، يقول فيه: "إنها خروج الانسان من قصوره الذي هو نفسه المسؤول عنه" ثم يشرح معنى القصور قائلا: "القصور يعني عجزه عن استعمال عقله دون إشراف الغير". كانط هنا يدعونا إلى الانتقال من حالة القصور والوصاية والعجز إلى حالة الاستقلالية والتحرر الفكري من خلال الاعتماد على عقولنا، لهذا جاء شعار الأنوار "تجراً على استخدام عقلك أنت".

كانط يُحمّل الانسان مسؤولية هذا العجز بسبب افتقاره للشجاعة اللازمة والجرأة الكافية في استخدام عقله، واعتماده على غيره في تسيير شؤون حياته، لهذا نجده يستعير تلك العبارة الشهيرة للشاعر اللاتيني (Horace 1^{er} s. av. J) شاعر لاتيني ولد في 08 ديسمبر 65 قبل الميلاد بإيطاليا.) والتي يمكن ترجمتها "تجراً على أن تعرف" (ose savoir) لأن ذلك هو الأصل في الانسان، أي أن يكون مفكر نفسه، وألا يقوم الغير بذلك نيابة عنه. لكن، يقول كانط، ألفت الناس هذه الحال واعتادوا عليها فأذعنوا لها واستسلموا، ما جعل من كانوا مسؤولين عن ذلك يحرصون حرصاً شديداً على ألا يجرأ أحداً من هؤلاء عن الخروج من هذه الحضيصة التي حشروهم فيها، وإلا فالخطر يتهددهم إن فعلوا ذلك. لهذا يدعوهم كانط ويحثهم على التمرد والجرأة على التفكير بأنفسهم، لأن ذلك حسبه، واجب وضروري. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: ما هو السبب وراء وقوع الانسان في مثل هذه الوضعية؟

أرجع كانط سبب ذلك إلى الكسل والجبن اللذين يعاني منهما الناس عامة. "إن الكسل والجبن هما السببان اللذان يفسران بقاء مثل هذا العدد الكبير من الناس مرتاحين إلى قصورهم

مدى الحياة، بعد أن حررتهم الطبيعة منذ زمن بعيد من التوجه الخارجي. " فكل المسؤولية، إذن، يتحملها الانسان نفسه، فهو يرى أن هذه الوصاية المضروبة عليه تريحه وتتنقص عنه عناء التفكير ما دام هناك من يقوم بذلك نيابة عنه في شتى ميادين الحياة. فهل من مخرج من هذه الحالة؟

يعترف كانط بصعوبة الخروج منها، خاصة لما يكون الانسان بمفرده، إنه مثل الخروف المنعزل عن القطيع، فيكون فريسة سهلة للذئاب، كما شبهه بذلك كانط. "من الصعب إذن على كل انسان أن يخرج بمفرده من القصور الذي كاد أن يصبح له طبعاً. فهو قابع فيه بارتياح، وهو عاجز الآن فعلاً عن استعمال عقله، لأنهم لم يدعوه أبداً أن يحاول ذلك." فهذا العجز الإرادي أصبح بمثابة طبيعة ثانية لدى الانسان، بالتالي يصعب عليه التخلص منها. فما الدواء لذلك؟

يقول كانط: "أن يستتير الجمهور من تلقاء نفسه، أمر يدخل في باب الممكن، بل بالأحرى من باب الحتمي فيما لو تركت له الحرية في ذلك." فكانط هنا يشترط توفر عنصر الحرية لتحقيق ذلك، فبدونها لا تقوم للتنوير قائمة، لأن الحرية هي التي تسمح للإنسان باستخدام عقله بمفرده دون إشراف الغير، وهذه الحرية تضم حرية الفكر والمناقشة، حرية التعبير، وكذا الحرية الفردية. فالعالم يحتاج للحرية كي يبدع، الكاتب والصحفي والفنان، كلهم، يحتاجون إلى جو من الحرية للتعبير عن آرائهم من دون خوف ولا قمع وبلا قيود. يسمي كانط هذه الحرية بـ: "حرية استعمال المرء لعقله بصفة علانية"، ويقصد بذلك حرية ممارسة الفكر واستعمال العقل بصورة علانية وصريحة في جميع المجالات؛ فهو يقول بهذا بعد الذي لاحظته في المجتمع. "لا تفكر فالضابط يقول: لا تفكر بل نفذ! ورجل المال يقول: لا تفكر بل ادفع! والكاهن يقول: لا تفكر بل آمن! ... في كل مكان حد للحرية! كانط إذن لاحظ تقييد الحرية في كل مكان ذلك ما من شأنه أن يضر بالأنوار، لأن الاستخدام الحر واللامشروط لعقولنا هو الوحيد الكفيل بإيصال الأنوار إلى جميع الناس. لكن لا نفهم من هذا أن كانط من دعاة الحرية المطلقة، بل بالعكس جعل لها ضوابط وحدود، إذ نجده يتساءل: "لكن أي الحدود هو مضاد للأنوار؟ وأيها غير مضاد، بل على العكس مفيد؟" في رده على

هذا التساؤل، كانط يميز بين نوعين من الاستعمال للعقل: استعمال عام واستعمال خاص. ماذا يعني بذلك؟

"إن الاستعمال العام لعقلنا يجب أن يكون دائما حرا، وهو وحده يمكنه أن يوصل الأنوار إلى الناس. بينما استعماله الخاص يمكن أن يحد بقسوة بالغة دون أن يمنع ذلك بشكل ملموس تقدم الأنوار." يقصد بالأول؛ ذلك الاستخدام الذي يقوم به الانسان العالم أمام جمهور قرائه. هذا النوع يقول عنه كانط ينبغي أن يبقى دائما حرا، لأنه هو الوحيد القادر على إيصال الأنوار للناس أجمعين. ويقصد بالثاني؛ ذلك الاستعمال الذي يحق للمرء أن يقوم به في مركز مدني أو وظيفة معينة أسندت إليه، أي استعمال الانسان لعقله وفكره في مجال وظيفته المهنية. هنا يتصرف الانسان تصرفا محدودا لما يخدم الصالح العام فقط، وتحقيق غايات عامة بناء على إجماع مصطنع. التفكير الحر هنا، حسب كانط، ليس مسموحا بل المطلوب هو الطاعة، لأن ذلك ما من شأنه أن يحافظ على أمن واستقرار المجتمع والدولة. هنا يجد الكثير من الموظفين أنفسهم في إشكال، خاصة أولئك الذين يحملون صفة العالم وفي نفس الوقت يلبس قبعة الموظف، هل يحق لهم -وهم تحت قبعة العالم- أن يوجهوا انتقادات للمؤسسات التي يشتغلون فيها، أم يلتزمون بالطاعة وتنفيذ أوامرها -بصفتهم موظفين فيها- حتى لا يتسبب ذلك في خلق جو من الاضطراب والفوضى؟ هنا يقول كانط في هذا الشأن: "فإنه يمكنه أن يفكر في جميع الأحوال دون أن تتأذى من جراء ذلك الأعمال المولج بها جزئيا بوصفه عضوا منفعلا. وسيكون من الخطر الشديد أن يحاول ضابط وجّه إليه رئيسه أمرا، التفكير أثناء الخدمة حول لزوم هذا الأمر أو فائدته، إن عليه أن يطيع." لابد إذن من التمييز في استخدام الانسان لعقله وفكره بحسب انتمائه، فإذا كان عالما له الحرية التامة في التفكير وإعمال عقله بصورة صريحة وعلانية، أما إذا كان موظفا فلا يحق له الانتقاد العلني والعصيان، بل بالعكس عليه بالطاعة حفظا للمصلحة العامة.

في النهاية يعود كانط إلى إعادة طرح ذلك السؤال الذي بدأ منه بصيغة أخرى قائلا: "هل نعيش حاليا في عصر مستتير؟" كان جوابه: "كلا، بل في عصر يسير نحو الأنوار" فالطريق، حسب، لا تزال طويلة إذا نظرنا لمعطيات الواقع المعاش وحياة الناس الذين لا يزالون بعيدين عن استخدام عقولهم بصورة كاملة وعلانية، ومن دون مساعدة الآخرين. إلا

أن كانط أبدى تفاؤلاً في تغير حياة الناس وسيرهم نحو التنوير، وبداية زوال العوائق والعقبات التي كانت تعيقهم لبلوغ ذلك، أي تمكن الناس من الخروج من ذلك القصور الذي هم أنفسهم مسؤولون عنه.

❖ **مشروع الأنوار:** يرى Todorov (2018) بأن الحديث عن مشروع الأنوار وفيما اختصت فيه أمر ليس بالسهل وذلك لسببين رئيسيين هما:

- **السبب الأول:** الأنوار متعددة ومتنوعة وليست متجانسة. الأنوار شارك فيها عدد كبير من الفلاسفة والمفكرين والعلماء والفنانين والأدباء؛ فهم لم يكونوا، بالتالي، على اتفاق بينهم في كل المسائل، لكنهم كانوا دائماً في نقاشات وحوارات مستمرة رغم المسافات التي كانت تفرقهم، حيث كانت المنشورات تنتقل من بلد لآخر. ذلك ما سمح فيما بعد بميلاد مدارس فكرية لا تزال تتصارع إلى اليوم، ومذاهب فلسفية متعددة. لهذا يقال عن عصر الأنوار أنه عصر النقاش والحوار والمداولة أكثر منه بعصر الاجماع والاتفاق.
- **السبب الثاني:** عصر الأنوار ليس بعصر الابداع الأصيل، بل هو عبارة عن مرحلة نهائية، عبارة عن خلاصة وتركيب (c'est une époque d'aboutissement et de récapitulation) ماذا يعني هذا الكلام؟ إن الأفكار الكبرى للأنوار وفق كاسيرر (2018) ليست أصيلة القرن الثامن عشر، فهي إن لم تكن آتية من العصر القديم فإنها تحمل علامات العصور الوسطى في نهاياته، أو عصر النهضة، أو المراحل الكلاسيكية (العصر الحديث). لقد استلهم التنوير أفكار كل هذه العصور التي كانت في صراع وتناقض، استطاعوا إعادة ترتيبها وتنظيمها وطرحها من جديد حين توفرت الظروف لذلك. وهذا ما يؤكد كاسيرر في كتابه "فلسفة التنوير" قائلاً: "أدركت فلسفة التنوير مهمتها إلا بوصفها فعل إبادة، بل فعل إعادة الإعمار. حتى في خضم ثوراتها الأكثر جرأة، كانت لا ينبغي سوى أن تكون عودة، بمعنى استعادة المجد السابق، حيث ينبغي تثبيت العقل والإنسانية في حقوقها القديمة... وهذا ما تجلّى من خلال رجوع التنوير الدائم إلى الموضوعات الفكرية القديمة وإلى أسئلتها، على الرغم من كفاحه ضد الوضع القائم وضد الماضي القريب." فالتنوير جمع بين القدامى والمحدثين، جمع بين العقلانية (ديكارت) والتجريبية الحسية (لوك وهيوم). لكن رغم كل هذا الاختلاف والتنوع

لا يحق لنا القول إن عصر الأنوار لا يحمل مشروعا جوهريا وأساسيا. فما هو مشروع الأنوار؟

كنا قد أشرنا في البداية إلى أن الناس في بداية عصر الأنوار جعلوا من "الحياة الكريمة للإنسانية" الهدف الأسمى لكل أفعالهم وتصرفاتهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ولتحقيق هذا الهدف، وبحسب تعريف كانط للأنوار، كان قد اشترط توفر عنصر الحرية؛ لهذا كانت الفكرة الجوهرية التي ارتكز عليها التنوير في مجمله هي فكرة: "الاستقلالية" والتي تعني العمل والسعي نحو التحرر والانفلات من قبضة الرقابة التي تفرضها عليهم سلطة الأمر الواقع آنذاك، والتي كانت تفرض وتملي على الناس نمطا واحدا من التفكير، وكانت السلطة الدينية أقوى سلطة تمارس الرقابة والقمع على الفكر الانساني.

هذه الدعوة للاستقلالية والتحرر كانت تشمل كل جوانب ومجالات الحياة، بدءا بالمعرفة والعلوم، الآداب والفنون، وغيرها... بحيث لا يحق لأية إيديولوجية أن تتدخل فيها وتوجهها أو تمنعها، لأن ذلك يعيق تطورها ونجاحها. كما أن لكل فرد الحق في أن يعيش ويحيا الحياة التي يريدها، وأن يفكر فيما يشاء، ويعبر عن أفكاره وآرائه بكل حرية، فلا يحق لأحد توجيه حياته أو فكره بأية حجة من الحجج أو تحت اية ذريعة. كما تكون له الحرية في اختيار الأشخاص الذين يحكمونه، ويكون الشعب هو السيد في صياغة القوانين وسن التشريعات التي تدير شؤونهم. بهذا يكون قد فتح عهدا جديدا بفضل هذه الاستقلالية، ونهاية الحكم المطلق. فما هو إذن الجديد الذي طرحه مشروع الأنوار؟

التنوير حركة تغييرية هائلة وقوية في كل نواحيها، حيث رسمت ملامح النظام الذي يسير عليه العالم الغربي حتى اليوم، خاصة بعد الثورة الفرنسية. نظام يقوم على الحقوق الموزعة والمشاركة بين جميع الناس والمواطنين (الحرية الفردية، حرية الفكر والمناقشة، حرية التعبير، المساواة، الديمقراطية، حقوق الانسان...)، كما فرضت العقل مقابل الخرافة والأفكار الساذجة. في هذا العصر كذلك تحدد دور الدولة ومهامها

والمتمثل في توفير الخير الأسمى والحياة الكريمة لمواطنيها وحماية حقوقهم الطبيعية. كيف تم تحقيق ذلك؟

تم ذلك بفضل تضافر الجهود المشتركة التي تصدت لتلك التناقضات الداخلية والتوترات الناجمة عن الحروب الدينية، ضف إلى ذلك تأثير الاكتشافات العلمية النوعية التي ظهرت قبل وخلال عصر الأنوار (كوبرنيكوس، غاليلي، نيوتن، لافوازي، ...)، كما عرفت أولى حركات التمرد ضد الطغيان والاستبداد الملكي، لسيما في هولندا ضد الملك فيليب II وفي إسبانيا. كما شكل نجاح الثورات الثلاث (الإنجليزية والأمريكية والفرنسية) عاملا حاسما في نجاح التنوير وتجسيده.

❖ **الأفكار الكبرى للأنوار:** كنا قد أشرنا في العنصر السابق إلى أن عصر الأنوار ليس بعصر الإجماع والاتفاق، بل هو عصر عرف بالتنوع الفكري وعدم التجانس، هذا ما جعل مواضيع وميادين الفكر التنويري كذلك تتعدد وتتنوع، نذكر منها ما يلي:

■ **في المجال العلمي:** كانت العلوم تدرس ضمن الروح الفلسفية. كوبرنيكوس (N. Copernic. 1473-1543) غاليلي (Galilée. 1564-1642) ، ديكارت (Descartes. 1596-1650)، بيكون (F. Bacon. 1561-1626) ، وغيرهم... استطاعوا تحرير العلوم المعرفية من المعتقدات البالية والخرافات الدينية، وتخليصها من كل الأحكام المسبقة، ومعهم بدأ يتكون الفكر العلمي الحديث. ثم تأتي كوكبة أخرى من المفكرين والعلماء والفلاسفة، في القرن الثامن عشر، تدفع بالعلوم نحو آفاق أخرى أوسع، وتعطي لها روحا جديدة، من أهمهم نجد؛ الإنجازات العلمية الهائلة التي قام بها إسحاق نيوتن (Newton. 1642-1727) "كان الحساب التفاضلي وسيلة رياضية قوية طورها، موازاة مع لايبنتز. لقد عرف علم الديناميك الجديد في تحفته الكبرى أو كتابه (الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية 1787) موفقا بين دراسة كبلر لحركة الكواكب ودراسة جاليليو للحركة الأرضية. لقد قدم أوصافا رياضية محكمة لنظام الكون ولحركة الكواكب، واقترح قانونا كليا عاما للجاذبية" (أورد في: سبنسر وأندريجي، 2005)، كما نجد كذلك لافوازي (Lavoisier. 1743-1794) الذي وضع مصطلحات علم الكيمياء الحديثة (nomenclature chimique) وهو الذي حدد أهمية عنصر الأوكسجين؛ ليني

(Linné. 1707-1778) ، بوفون (Buffon. 1707-1788) ومن بعدهما كوفي (Cuvier. 1769-1832) ولامارك (Lamarck. 1744-1829) هم الذين أسسوا للنظرية التطورية قبل داروين. (Darwin. 1809-1882)

كل هذه الاختراعات والأفكار الجديدة لم تتقبلها الكنيسة ورجالها، وعملوا كل ما في وسعهم للتصدي لها ومنعها من الانتشار، على غرار ما حدث مع غاليلي الذي أدين ووضع تحت الإقامة الجبرية، ديكارت تعرض للرقابة والتضييق، أفكار داروين لاحقاً أدينّت إدانة شديدة... إلا أن النجاح كان حليفهم في النهاية واستطاعت العلوم أن تتطور وتنتشر وتتقدم (أورد في: (Cercle Condorcet, 2009) .

■ **في المجال الفلسفي:** الفلسفة هي الأخرى تحررت من اللاهوت، ومن الميتافيزيقا (خاصة مع المذهب الحسي)، ومن الدين عامة الذين كان يسيطر عليها حتى القرن السابع عشر. ذلك ما قام به توماس هوبز، فرنسيس بيكون، ديكارت، جون لوك دفيد هيوم سبينوزا... وغيرهم من الفلاسفة الكبار الذين فتحوا عهداً جديداً في الفكر الفلسفي والذي يصطلح عليه في تاريخ الفلسفة بالعصر الحديث أو الفلسفة الحديثة. لقد أسهموا كلهم في الحركة التنويرية بصورة مباشرة أو غير مباشرة. إنه عصر المذاهب الفلسفية الكبرى، العقلانية، التجريبية، المثالية، المادية...

حارب فلاسفة ومفكري عصر الأنوار الخرافة والدوجماطية واللاعقلانية، وتصدوا للتعصب واللاتسامح الديني، وأسسوا لما يعرف بالدين الطبيعي أو التآليهيون (déiste) الذين يعتمدون على العقل في تفسير وتأويل النص الديني. كانت البداية من الجزيرة البريطانية، حيث كان الصدام الأول بين فلسفة الأخلاق والسلطة الدينية آنذاك. يقر الفلاسفة (فلاسفة الأخلاق) بوجود أخلاق مستقلة عن الدين، وعن سلطة رجال الكنيسة (أورد في: (Cercle Condorcet, 2009) .

توماس هوبز أول من بادر بذلك، لقد وصف إنسان الحالة الطبيعية بالأناني والشرير، لكنه يحمل في ذاته الوعي بالخير والشر، ذلك ما يضطره لأن يغادر هذه الحالة نحو الحالة المدنية، أين يؤسس لدولة تتولى مهمة الحماية والأمن والعيش تحت كنف قوانين وتشريعات مدنية. يكون بذلك هوبز أول من حطم نظرية التفويض الإلهي والتأسيس

لنظرية العقد الاجتماعي. مهمة يكملها مواطنه جون لوك لكن بنظرة مخالفة؛ لوك يرى أن المعرفة الأخلاقية مصدرها القانون الطبيعي، ومن الحالة الطبيعية، الذي كان وصفه لها مختلفا عن وصف هوبز. الانسان عند لوك خير بطبعه، كما لا يستبعد أن تكون القوانين المدنية هي الأخرى تحتوي شيئا من الأناية والانفعالات. هيوم وكتابه "رسالة في الطبيعة البشرية" حاول دراسة الظاهرة الأخلاقية وفق المنهج التجريبي الذي كان يستخدم في العلوم الطبيعية، وركز أكثر على الانسان أو علوم الانسان التي قال عنها أنها هي الأساس "ومنه، فإن علم الطبيعة البشرية هو الأساس الوحيد المتين من كل هذه العلوم الأخرى الذي يمكننا أن نبني عليه هذا العلم... بل بالعكس يجب أن نعتبره وننظر إليه كأحد أهم مواطن فخرا، بسبب الأهمية العظيمة لهذا العلم، وكذلك ضرورته حيث وجدت في كل عمل إصلاحي" (د. هيوم، رسالة في الطبيعة البشرية هذا النص مأخوذ من مجلة (Le Point Hors-série; Mars-Avril 2010. N°. 26) ص. 45. وهو موجود في مقدمة الكتاب) (أورد في: Le Point 2010). كما يرى أن القيم الأخلاقية، في ذلك الوقت، مرتبطة بالمجتمع، والقانون الطبيعي للكون هو المصدر الأساسي للأخلاق.

هذه الفلسفة الأخلاقية والاجتماعية تجد صدى كبيرا لدى الفلاسفة الفرنسيون ومتقفيها، لكن لم تعرف هناك تأملا عميقا وثرى، فلا يزال ديكارت يسيطر على المشهد الفلسفي رغم إسهامات مونتسكيو وروسو النوعية، إلا أنهما تركا مجال الأخلاق في أحضان الدين وبين يدي رجال السياسة (السلطة المدنية).

إلا أن فرنسا عرفت كوكبة كبيرة من المثقفين والأدباء والعلماء والفلاسفة في هذه المرحلة، على غرار كل من كوندياك (Condillac 1714-1780)، الذي بيّن دور العقل والإدراك الحسي والمشاعر في المعرفة؛ لامتري (Lammetrie 1708-1751)، هيلفيتوس (Helvétius 1715-1771)، دولباخ (D'Holbach 1723-1789)، ديدرو (Diderot 1713-1784)، كلهم كونوا نظرة مادية للعالم والذي قادهم نحو الإلحاد. أما من الناحية الأخلاقية، فهم يحتقرون كل ما هو عرف وتقاليد وأخلاق اجتماعية شائعة.

وفي ألمانيا نجد كانط (1991)، أحد المدافعين عن الأنوار وأحد المعجبين بروسو، يؤسس لما يعرف بأخلاق الواجب، أخلاق لا تتعلق بالبحث عن السعادة، كما لدى أرسطو، ولا هي قائمة على القانون الطبيعي، كما لدى لوك وهيوم، لكنها أخلاق مبنية على مقولات قبلية أو متعالية للعقل. أن أكون أخلاقي يعني إثبات عقلانيتنا، والتحكم في إرادتنا، وتحويل رغباتنا ونزواتنا إلى إرادة خيرة. فالأخلاق عند كانط إذن، مستقلة، والهدف منها تحقيق الحرية للإنسان، ويشكل الواجب أهم مصطلح فيها وليس الفضيلة، وهذا ما تؤكد بعض مقولاته: "افعل كما لو كان يلزم للإرادة أن تقيم قاعدة فلك في قانون كلي للطبيعة" أي أن الفعل الأخلاقي الحقيقي حسب كانط، والمطابق لمفهوم الواجب، هو الفعل الذي يصبح في إمكانه أن يكون قانونا عاما لا يتعارض مع الطبيعة. "افعل بحيث تعامل الإنسانية في شخصك كما في أشخاص الآخرين كغاية لا كمجرد وسيلة فحسب". أي أن الإنسان هو الإنسان هو غاية الفعل الأخلاقي، إذ ينبغي أن ننظر إليه نظرة سامية، نظرة تجعله غاية في حد ذاته.

■ **في المجال الاقتصادي:** شهد هذا العصر وفق سبنسر وأندريجي (2005) ميلاد الاقتصاد السياسي (l'économie politique). في فرنسا يولد الفكر الاقتصادي الحديث مع الفيزيوقراطيين (les physiocrates) من أمثال: فرانسوا كيسني (François Quesnay 1694-1774)، ميرابو (Mirabeau 1749-1791) ... وغيرهما؛ كلهم انتقوا على نقد الميركنتيلية (mercantilisme) (نظام اقتصادي نشأ في أوربا خلال تفسخ القطاعات لتعزيز ثروة الدولة بتنظيم الاقتصاد واعتبار المعادن الثمينة ثروة الدولة الأساسية) ورفضها. فهم يمجدون نمو الاقتصاد وتطوره، وإنتاج الثروة عن طريق الفلاحة كأحد أهم مصادر الثروة للدولة، أفضل من الصناعة ومن التجارة. في إنجلترا عرف ميلاد المذهب الليبرالي بشقيه السياسي والاقتصادي، الشق السياسي على يد جون لوك، والشق الاقتصادي على يد آدم سميث (Adam Smith 1723-1790). هذا الأخير رفض تدخل الدولة في تسيير الاقتصاد، وهو صاحب المقولة الشهيرة "دعه يعمل دعه يمر"، إنه ينادي بالحرية الاقتصادية التامة والمبادلات التجارية الحرة، لأن ذلك ما يذر الثروة على الأمم من خلال سوق حرة وفي ضل تنافس نزيه. ثمن العمل، ويرى في السوق اليد الخفية التي تحفظ التوازن في المجتمع.

■ **في المجال السياسي:** إنه عصر ميلاد الديمقراطية الحديثة وحقوق الإنسان، وعصر ميلاد الليبرالية السياسية مع جون لوك، نظام يقوم على الحقوق ويستمد شرعيته من السيادة الشعبية فكان "رضا الشعب وموافقته هما الأساس الوحيد لسلطة الحكومة، وليس للحكومات واجب آخر يجاوز ذلك الواجب الذي من أجله أقيمت في البداية وهو: المحافظة على الحياة والحرية والملكية " ويعتبر هذا إنجاز عظيم في حد ذاته في ذلك الوقت، وهي من الحقوق الطبيعية للإنسان كما أشرنا في البداية، كذلك، إلى سقوط الامبراطوريات والآلهة، وتحطم نظرية التفويض الإلهي، وتحل محلها نظرية العقد الاجتماعي.

أشار كاسيرر (2018) أنّ القانون الطبيعي في هذا العصر لعب الدور الحاسم في هذا التغيير، بحكم أنه، حسب موقف الفلاسفة منه، نابع من طبيعة الكائن الإنساني ذاته. لهذا يجب عزله عن القانون الإلهي (الديني) الذي كان سائداً، وذلك ما دافع عنه كل من هوجو جروتوس (Hugo Grotius 1583–1645)، صامويل بفندورف (Samuel Pufendorf 1632–1694) في إنجلترا.

فكرة القانون الطبيعي دافع عنها كل من جون لوك وجون جاك روسو، والتي منها أُعيد إحياء فكرة الديمقراطية والذي أصبح أحسن نمط حكم ممكن، أو أحد أفضل أنماط الحكومة المقبولة شعبياً. هذه الفكرة تليها فكرة أخرى، خاصة بعد الثورة الفرنسية، ألا وهي فكرة حقوق الإنسان والمواطن، وذلك ما وثقه بيان الثورة، البيان العالمي لحقوق الإنسان والمواطن الشهير. كما كان، قبل ذلك، لنجاح الثورة الإنجليزية الصدى الكبير في المجال السياسي، من خلال التأسيس لأول ملكية دستورية في التاريخ، التي كانت محل إلهام الكثير من الفلاسفة على غرار مونتسكيو الذي خصص لها فصلاً كاملاً شهيراً (الفصل السادس) في مؤلفه "روح القوانين" (الكتاب الحادي عشر)، ما جعله يصف النظام الملكي كأفضل أنظمة الحكم، لأن في هذا النظام تكون سلطات الملك مقيدة بقوانين ثابتة، والتي تم سنّها لتحقيق التوازن بين سلطات الدولة الثلاث، وهو تقليد لم يكن معروفاً قبل هذا التاريخ. من هنا بدأت أنظمة الحكم المطلقة تنهار.

فولتير هو الآخر كان من أنصار الملكية، لكن الملكية الليبرالية، أين تكون سلطة الملك والنبلاء مقننة كما في إنجلترا، وكان من أنصار فكرة الاستبداد المستتير (despotisme éclairé)، بحيث يكون الملك صديق الأدب والأدباء، ويكون من أنصار التسامح والعدالة، على طريقة ملك بروسيا فردريك II الذي مدحه كانط. "كان فولتير يكرر في مقالاته ورسائله دائماً من دون كلل، صيحته النضالية القديمة "اسحقوا الشائنة (Ecrasez l'infame). وعندما كان فولتير محترزا أن كفاحه ليس موجهاً ضد الإيمان وإنما ضد الخرافات، وليس ضد الدين وإنما ضد الكنيسة." أما ديدرو وروسو فكانا من أنصار النظام الجمهوري القائم على العقد بين الملك أو الأمير وبين الشعب بصفته صاحب السيادة، والذي هو الوحيد المخول للتشريع وسن القوانين التي تحكمه.

أشار (Cercle Condorcet, 2009) بأن معظم رواد الأنوار اعتمدوا على الأدب في عرض أفكارهم ونشرها، ويعتبر فولتير أفضل نموذج في ذلك، نجده يستخدم الشعر والمسرح والنثر والرواية والقصة والأسطورة والمراسلات. "المعارك الأدبية التقليدية وضعت في خدمة الحملات الفلسفية، لأن الأهم في كل هذا هو إيصال الفكرة للقارئ. وتبقى الموسوعة (المجلد الأول من الموسوعة أو من المعجم التحليلي للعلوم والفنون والحرف ظهر عام 1751، ولقد استغرق الأمر 20 سنة لإتمام الموسوعة. واشتملت على ما يقارب 27000 مادة مدرجة و2500 صورة محفوظة) أعظم ما ميز عصر الأنوار والأثر الباقي له، وقد كان ذلك في الأصل بتفويض لترجمة ومراجعة "موسوعة إفراميتشامرز" التي نشرت لأول مرة في أدنبره عام 1727. وبعد أن أفلح الناشر الأول قام على أمر المشروع بنجاح كل من ديدروودالمبر (أورد في: سبنسر وأندريجي، 2005).

❖ **خاتمة:** عصر الأنوار كان مرحلة حاسمة في تطور المجتمعات الأوروبية بالخصوص والغربية عامة. دراستنا لهذا العصر ليس معناه أننا نريد العودة إلى القرنين السابع عشر والثامن عشر، فذلك لن يحدث لأن العالم تغير كثيراً، لكننا لا يمكننا إنكار فضل ذلك القرنين على تطور الإنسانية وتحولها بصورة جذرية وانتقالها من الظلامية إلى النور، أو بالأحرى

نحو الأنوار. لهذا فإنه من الواجب المحافظة على ذلك الإرث، الإيجابي منه بالخصوص، مع عرضه للنقد والتمحيص، كما علمنا الأنوار فعل ذلك. فالمحافظة على الأنوار والاستمرارية في نهجه لا يعني إعادة تكرار واستتساخ تلك الأحداث، بل علينا العمل دائما بتلك الروح التي خلقتها الأنوار حتى لا تنطفئ، لأن أعداء الأنوار كثر وموجودون في كل مكان.

عصر الأنوار بروحه دشن حقبة تاريخية جديدة من تاريخ الإنسانية جمعاء. عصر فيه اهتم الانسان بالإنسان بالدرجة الأولى، ذلك ما شكل قوامه الروحي. يقول ليسينج (Lessing 1729-1781): "إن أسمى ما يهتم به الانسان هو الانسان نفسه" فكانت تلك ميزة هذا العصر الجوهري.

إنسان الأنوار هو ذلك الانسان الذي شقَّ طريقه بنفسه وبقدراته العقلية الذاتية نحو المعرفة والحقيقة من دون الاستعانة بالغير، أو أن ينتظر هبة من أحد. هذا ما يقودنا إلى روح أخرى من أرواح الأنوار ألا وهي "العقل"؛ عصر الأنوار هو عصر العقل بامتياز، إذ كل الفلاسفة كانت دعوتهم واحدة، وهي العودة إلى العقل، وإعمال العقل، والاحتكام إلى العقل دون سواه، فالعقل هو العمدة في كل شيء بعد أن كان معطلا ومغيبا طوال قرون.

بفضل هاتين الروحين لم يتوقف الانسان من استساغة الكثير من المطالب، واكتساب العديد من الحقوق، وتحقيق نجاحات وإنجازات مهمة في ميادين شتى، ولعل أهمها وأكبرها "الحرية" و "الاستقلالية". إنها جوهر الأنوار. يقول ديدرو في هذا الشأن "لكل عصر روحه التي تميزه، والبادي أن روح الأنوار هي روح الحرية." فالحرية هي الروح الكبر للأنوار، لقد جعل منها كائط الشرط الأساسي لممارسة التنوير ونجاحها.

يبقى دائما في أيامنا، وبالخصوص في مجتمعاتنا، تظهر سمات التعصب الديني، ومظاهر اللاتسامح وصور الظلامية والدوجماطية، والفكر الأحادي، الأنانية والتخلف... وغيرها من الصور السلبية التي حاربها عصر الأنوار، للأسف لم تمحى بعد من مجتمعاتنا، إن لم نقل إنها مستفحلة أكثر من الماضي. النضال من أجل الحرية، التقدم والرقى، ومن أجل حقوق الانسان، الاحترام المتبادل وتقبل الآخر، احترام الحريات الفردية، حرية العقيدة... وغيرها يجب أن يستمر ولا يتوقف إن أردنا للحاق بركب الحضارة. لهذا أنهي كلامي بهذا السؤال: هل نحن اليوم لا نزال بحاجة إلى الأنوار؟

❖ قائمة المراجع:

1. كانط (1991). مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة، متبوع بأسس ميتافيزيقا الأخلاق. ترجمة: نازلي إسماعيل ومحمد فتحي الشنيطي. الجزائر: موفم للنشر.
2. كاسير (2018). فلسفة التنوير، ترجمة: إبراهيم أبو هشيش. قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات.
3. سينسر ليود وأندريجي كروز (2005). أقدم لك عصر التنوير. ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام. المشروع القومي للترجمة، العدد 698. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
4. محمد الشيخ (2015). ما معنى التنوير؟ سؤال التنوير وحيثياته وأجوبته في الفكر الغربي. مجلة التفاهم التي تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الدينية لسلطنة عمان. <http://tafahom.om/index.php/nums/view/7/141>
5. Todorov, T (2018). *L'esprit des lumières*. Paris, France : Edition Robert Laffont.
6. Kant, E, Mendelssohn, M (2006). *Qu'est-ce que les lumières ? Traduction de l'Allemand par : Dominique Bourel et Stéphane Piobetta, revues par : Cyril Morana*. France : Edition Mille et une Nuit.
7. Kant, E (2015). *Qu'est-ce que les lumières ? Traduction par : Jean-Michel Muglioni*. France : Edition Hatier.
8. Condorcet, C, Clermont, F (2009). *Que reste-t-il des lumières ? Cahier N° 12*. Paris.
9. *Le Point Hors-série* (2010). *La pensée des lumières. Les textes fondamentaux*. N° 26.